خبير تربوي سياسي لبناني للوفاق:

# الذكاء الإصطناعي سلاح ذو حدين.. قفزة نحو المستقبل وخطر على الهوية

الوفاق
عبير شمص

**في عصر تسوده التغيرات التكنولوجية السريعة، يتصدر الذكاء الإصطناعي قائمة النقاشات الجدلية حول تأثيره على الثقافة والفنون على الصعيدين العلمي والمجتمعي بين وعود بخلق مستقبلٍ أكثر تقدماً وسلاسة، ومخاوفَ من التأثير السلبي على الثقافة والهوية. الذكاء الإصطناعي، بقدر ما يُثير آمال وتطلعات المجتمعات يعتبر مصدراً للقلق والأسئلة العميقة حول كيفية تأثيره على الإبداع والحرية الفكرية. من هنا، يطرح الخبراء تساؤلات محورية: هل يُعتبر الذكاء الإصطناعي صديقًا يسهم في تحسين الواقع الثقافي وتعزيز فرص التلاقي والإبداع الثقافي، أم عدوًا يهدد الثقافات المحلية؟ وما هي التحديات التي يواجهها الأدب والفن في ظل تكنولوجيا الذكاء الإصطناعي، ومدى قدرتها على احترام الاختلافات الثقافية والدينية في ظلّ تنامي العولمة الرقمية، وتأثير ذلك على الهوية العربية والإسلامية؟، هذه التساؤلات وغيرها سنطرحها مع الخبير التربوي والسياسي اللبناني الدكتور ماجد جابر لنستكشف الوجه الحقيقي للذكاء الإصطناعي، فهل هو قفزة نحو مستقبل أكثر شمولية وتطوراً، أم خطر يُحدق بقيمنا وهويتنا؟ وفيما يلي نص الحوار:**

## الذكاء الإصطناعي وجه من وجوه الحرب الناعمة

يؤكد الدكتور جابر بأنه قد يشكل الذكاء الإصطناعي حربًا ناعمة على الهويتين العربية والإسلامية وذلك بسبب الهيمنة الثقافية الرقمية من قبل الدول المطورة للذكاء الإصطناعي مثل الولايات المتحدة وأوروبا، إذ تقدم تقنياته وبرامجه القيّم الثقافية الغربية بشكل غير مباشر وتصدير الأيديولوجيات الغربية. كما أن برامج الذكاء الإصطناعي التي تتضمن خوارزميات التوصية على العديد من المنصات، تقدم محتوى ثقافيًا وإعلاميًا غالبًا ما يعكس القيم الغربية، أضف إليه أنّ التعرض المستمر للمحتوى الغربي من قبل أفراد المجتمعين العربي والإسلامي، قد يُحدث تأثيرًا تدريجيًا على ثقافاتهم، مما يعزز قيمًا قد تكون غير متوافقة مع بعض المبادئ التقليدية لهذه المجتمعات.

ويعتبر الدكتور جابر أن اللغة العربية، باعتبارها واحدة من أكثر اللغات تحدًا في العالم، قد تُواجه تحديات في مجال الذكاء الإصطناعي، إذ أن العديد من تطبيقات الذكاء الإصطناعي، مثل المساعدين الصوتيين، محركات البحث، وبرامج الترجمة، تم تطويرها أولاً لتدعم اللغات الأكثر شيوعًا عالميًا (كالإنجليزية)، الأمر الذي يؤدي إلى إضعاف اللغة العربية أو تقليص حضورها في مجالات تكنولوجية حيوية، مما قد يؤثر على الهوية الثقافية والقدرة على التعبير عن الذات بلغتها الأم.

أضف إلى ما تقدم، يشير الدكتور جابر أن احتكار وهيمنة الدول الغربية على مجال الذكاء الإصطناعي، وامتلاكها الموارد والقدرة على تطويره بشكلٍ أسرع من دول أخرى، لا سيما الدول العربية والإسلامية، يخلق تفاوتاً كبيراً في الوصول إلى التكنولوجيا، وبالتالي، قد يؤدي إلى تغريب الهوية، خصوصًا أن الدول العربية بدأت تعتمد بشكلٍ كبير على التكنولوجيا التي طوّرتها جهات خارجية وتنحو بإتجاه التحول الرقمي، مما يجعل هذه الدول أقل قدرة على التأثير في التطورات التكنولوجية، وبالتالي أقل قدرة على حماية هويتها الثقافية والدينية.

## تحديات الذكاء الإصطناعي في الأدب والفن

يلفت الدكتور جابر بأن الذكاء الإصطناعي خلق تحديات كبيرة في مجالي الأدب والفن، مما أثار تساؤلات حول الإبداع، الأصالة، والحرية الفنية. وعلى الرغم من أنه يمكن للذكاء الإصطناعي أن يقدم أدوات قوية وابتكارات جديدة، إلا أن تأثيره يمكن أن يكون عميقًا ومعقدًا. ومن أبرز التحديات التي يطرحها الذكاء الإصطناعي في هذا المجال هو قتل الإبداع والحرية الفنية بعد أن أصبح الذكاء الإصطناعي قادرًا على إنشاء أعمال أدبية وفنية تتشابه بشكلٍ كبير مع الأعمال التي يبدعها البشر في الأدب والتي كانت سمة بشرية فريدة، ككتابة نصوص رواية أو شعر بناءً على الخوارزميات والبيانات التي يتم تغذيتها فيها. وفي الفن مثلاً، يمكنه إنشاء صور، لوحات، أو حتى موسيقى بشكل أسرع وأكثر كفاءة من الإنسان، الأمر الذي قد يقلل ذلك من قيمة العمل البشري أو يعطل حرية التعبير الفني.

ويرى الدكتور جابر بأن مسألة الأصالة وحقوق الملكية الفكرية تُشكل تحدّيًا ثانيًا يطرحه الذكاء الإصطناعي مع إنتاجه لأعمال فنية وأدبية، إذ يُثار سؤال حول حق الملكية الفكرية، هل يكون للمبرمجين الذين طوروا الخوارزميات أو الذكاء الإصطناعي نفسه ككائن مستقل؟ يثير ذلك مسألة قانونية قد تؤدي إلى خلافات في صناعة الفن والأدب، الأمر الذي يتطلب تحديد حقوق الملكية وضمان حماية الأعمال المبدعة.

كما تُعتبر الأعمال التي يُنتجها الذكاء الإصطناعي نسخًا أو إعادة صياغة لأعمال بشرية موجودة بالفعل، تحديًا كبيرًا حول أصالة الفن.

ويُشكل الذكاء الإصطناعي تهديدًا للوظائف في مجالات الأدب والفن، إذ قد تُستبدل بعض الوظائف الإبداعية التي كانت في السابق حكراً على البشر. على سبيل المثال، في مجال الكتابة، ككتابة المقالات الإخبارية أو الكتب الموجهة للأعمال، وكذلك في الفن، قد يُستخدم الذكاء الإصطناعي لإنشاء لوحات ورسومات تجارية أو تصاميم رقمية، مما قد يقلل من فرص العمل للفنانين التقليديين. أكثر من ذلك، بدأ بعض الفنانين في استخدام الذكاء الإصطناعي كأداة لإنتاج أعمال فنية جديدة، مما يؤثر على وظيفة الفنان التقليدي، ويعزز من لجوءه إلى الاعتماد على الآلات، الأمر الذي يخلق تحديًا كبيرًا أمام الإبداع الفني.

## الأخطار المجتمعية لبرامج الذكاء الإصطناعي

لا تتوقف إمكانية خطر الذكاء الإصطناعي على الثقافة فقط بل تتعداه لتطال البنية المجتمعية في العالم العربي والإسلامي، وفق الدكتور جابر، ففي ظل تهديدات الاختراق، تعتمد برامج الذكاء الإصطناعي على بنى تحتية رقمية متطورة، وتجمع كميات هائلة من البيانات لتحليلها واتخاذ قرارات بواسطتها، إذ تعد هذه البيانات أحد الأصول الأكثر حساسية في العصر الرقمي. لذلك، يجب التعامل مع هذه البرامج بحذر ووضع ضوابط صارمة لضمان أمانها. وبالتالي تعود أسباب الاختراقات في برامج الذكاء الإصطناعي، إلى كونها تحتاج إلى بيانات ضخمة لتدريب النماذج وتحسين أدائها. وفي حال تم اختراق البيانات المخزنة أو التدخل في عملية تدريب النماذج، يمكن أن يؤدي ذلك إلى سرقة معلومات حساسة، والتأثير على نتائج وقرارات الذكاء الإصطناعي وإفسادها.

وعما إذا كان يمكن أن نَأمن لبرامج الذكاء الإصطناعي، يقول الدكتور جابر بأن الإجابة باختصار ليس بشكل كامل، ولكن يمكن تقليل المخاطر إلى الحد الأدنى حيث يمكن تقليل التهديدات الأمنية عبر اتخاذ تدابير وقائية قوية على عدة مستويات، تبدأ من حماية البيانات عبر تشفيرها، وجمع الحد الأدنى من البيانات الضرورية لتقليل المخاطر، والقيام بمراجعة دورية للخوارزميات لتأمينه، من خلال الفحص بشكل دوري لاكتشاف نقاط الضعف، إلى جانب استخدام التعلم الآمن مثل تطبيق تقنيات التعلم الفيدرالي (Federated Learning) لتقليل الحاجة إلى تخزين البيانات في مكان واحد، واستخدام أنظمة كشف التهديدات والهجمات قبل وقوعها، إلى جانب ضرورة اتباع سياسات واضحة ومعلنة حول كيفية استخدام البيانات، فضلًا عن ضرورة تدريب العاملين في أي مجال يستخدم الذكاء الإصطناعي على كيفية حماية بياناتهم وتجنب الهجمات السيبرانية.

وبالتالي يؤكد الدكتور جابر، فإن برامج الذكاء الإصطناعي تمثل تطوراً مذهلاً في التكنولوجيا، لكنها ليست محصنة ضد التهديدات. أمثلة الاختراقات المذكورة أعلاه تؤكد الحاجة إلى تطوير أنظمة أكثر أماناً، واعتماد تدابير وقائية مستمرة. الذكاء الإصطناعي يجب أن يكون أداة تعمل لصالحنا، وليس نقطة ضعف يمكن استغلالها من قبل المهاجمين.

## الذكاء الإصطناعي صديق أم عدو

يشير الدكتور جابر بأن الذكاء الإصطناعي ليس في حد ذاته صديقاً أو عدواً، بل يعتمد دوره على الطريقة التي يتم فيها استخدامه. إذا تم تطبيقه بحكمة وبشكل مدروس، يمكن أن يكون صديقاً، يدعم العملية الثقافية ويعززها. أما إذا أُسيء استخدامه أو تم الاعتماد عليه بشكلٍ مفرط دون مراعاة الجوانب الإنسانية والثقافية، فقد يتحول إلى عدو يضعف الثقافة والفن ويزيد من التحديات القائمة.

**من أبرز تحديات الذكاء الإصطناعي قتل الإبداع والحرية الفنية بعد أن أصبح قادرًا على إنشاء أعمال أدبية وفنية تتشابه بشكلٍ كبير مع الأعمال التي يبدعها البشر في الأدب والتي كانت سمة بشرية فريدة**

● قصة قصيرة

## أخطاء

الوفاق / التاريخ مليء بالأخطاء، قال خالي أمس. كنا نقف على أنقاض من المباني المدمّرة في شارعنا البيروتي العريق. حاول مناقشتي. أجبتُه: "لا وقت لديّ. بيتي كالتاريخ الآن مليء بالأخطاء أيضا!".

أصاب الدمار أثاثي وغطّى أرض شقتي. كأنّ زلزالا ضربها.

منذ أسبوع أجرف يومياً ركامًا وأكنس، وأشدّ ظهري بالمشد. أرمي شبابيك مكسورة وأخشاباً مقطعة إلى موقف البناية بانتظار نشاط البلدية لإزالة الأنقاض بعد وقف النار.

الكلمة تلحّ في "فيوزات دماغي"، "التاريخ مليء بالأخطاء"، لكنّي أبعدها كالبعوضة.

عليّ أن أصلح الأخطاء بدائرة شؤوني. لم أعلم أتلك من آثار أخطاء التاريخ بحقّي أم بما كسبت يداي؟ أهو طغيان اعتدى عليّ فقط أم ساهمت به بعدم لصق الزجاج أو الحذر؟

كل يوم أنصرف من معاينة البقايا إلى منطقة تبعد شمالاً مسافة نصف ساعة. هناك غرفة لأخي فوق سطح والديّ. جهزتها بغاز واسفنجات وطنجرة وصحون وملاعق بعدد أفراد أسرتي. لا أعلم هل أخطأت إذ لم أستأجر شقة مفروشة؟ أهو خطأ كبير أمام ضرورة توفير نفقاتٍ لزوجتي المجروحة في المشفى جراء الغارة المباغتة؟ ومن يعرف غير المُجرّب صعوبةَ إيجاد شقة في هذه الهدنة؟

وأعود. التاريخ مليء بالأخطاء، وحركاتي مليئة بالأخطاء وسط الدمار. أمشي للشرفة المنهارة أصعد للسطح، أعالج توصيلات الكهرباء، ألملم الكراسي المهشمة. لا شيء في مكانه.

برقٌ لمع ظهري، لقد ازداد منذ تبين أن اسفنجة نوم اشتريتُها مغشوشة، فاستخلصتها لنفسي وقاية لأطفالي. صارت كفجوة تهبط بي ليلاً فتتصلب عضلاتي ويرعد سعالي!

وأستمرُّ، بسحب النفايات. لا يمكن أن توصَف بشاعة الفوضى. آخ من الأخطاء المستنزفة للرأس.

طرق أحدهم لوحاً خشبيّا أمام مدخل الشقة. بالمناسبة ما زلت أحاول تركيب قفل للباب المثقوب بدل النجّار! وأتمنى لو سقطت البناية كلها!

هذا جاري. سلام وكلام. يسألني: "لماذا تبدو خمسينيّا وأنت الثلاثيني؟"، أضحك. وأخبره بهموي، فيخبرني بإجراءاته المكتوبة على ورقة لضمان سيطرته على همومه. أقرر بلحظة صفاء الإفادة من خبرته لئلا أقع بأخطاء مكررة!

ودّعته شاكراً. قال: "يا ليت الأمة مثلك تستفيد من تجارب التاريخ! أتصدق؟ يا ليت المدينة كلها انهارت وافتدت ضياع فلسطين ومذابح أهالي غزة"..

غادر وهززتُ رأسي: التاريخ مُجدّدا!

وفجأة، وجدتني أشطف الثلاجة والردم لم يُرفع بعد، فغصت في الوحل ووجع الجسم والعقل.. هكذا عُدت أخطئ. ضاقت أوداجي، ضاق صدري، واحترازاً من الاختناق صوّبت خرطوم الماء على وجهي وقلت: "التاريخ مليء بالأخطاء، فكيف نصحو من الارتباك؟".

**بقلم الكاتبة نجوى الموسوي**

● كتاب

## أرواح الطوفان.. نماذج فذة من البطولة والثبات في طوفان الأقصى

بعد مضيّ عام على معركة طوفان الأقصى والعدوان الصهيوني على قطاع غزة، كشف غبار المعركة عن نماذج استثنائية في البطولة والثبات سطّرها أهل غزة ومقاومتها في مواجهتهم لاحتلالٍ دمويٍّ شرس، لا تحكمه حدود من الأخلاق أو القوانين أو الاعتبارات.

في هذا الإطار، نشر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات كتاب "أرواح الطوفان: نماذج فذة من البطولة والثبات في طوفان الأقصى". إذ يوثّق الكتاب ٢٦ قصة تُروى عن أهل قطاع غزّة وأبطالها، كما يعرض ٢٦ مشهداً إضافياً يصوّر الملاحم التي تسطّرها بطولات الغزّيين وثباتهم الأسطوريّ.

وجاء الكتاب في ١٤٣ صفحة من القطع الكبير، صاغ قصصه الدكتور أسامة الأشقر، وأُضيفت إليه بعض المشاهد القصيرة المؤثّرة ليقدّم صورة مكثّفة ومعبّرة عن معاناة الإنسان الفلسطيني في قطاع غزة واستجابته الإيمانية وعزيمته وإصراره، في ظلّ هذه الحرب الصهيونية المستعرة، بأسلوب يخاطب العقل والقلب معاً.

وسعى الكاتب أن تكون مسيرة أرواح الطوفان مشتملةً لفئات متعددة ومتفاوتة من المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة؛ الأستاذ والأكاديمي، والطبيب والمهندس، والفنان والشاعر والمثقف، والمبصر والكفيف، والسميع والأصمّ، والرجل والمرأة، والطالب، والشيخ والشاب والطفل، والمقاتل بسنانه ولسانه وفرشاته، والإمام والداعية، والطالب والتلميذ، والأم وابنها، والأب وابنه وابنته، والعائلة كلها والمستقلّ وابن التنظيم.

وحرص الكاتب على انتقاء ما أثّر فيه من قصص، وما رأى فيه نماذج القدوة، ودواعي الأسوة، وأيقونات الثبات، وأعمدة الصبر، وأمثلة الرضا بالقضاء والقدر، واهتمّ بسير أولئك الذين اشتهروا بلقطة الوداع الأخيرة في حياتهم، ولم تعرفهم الشهرة إلا بعد رحيلهم.

ورأى الكاتب أنّ ما أورده من قصص في الكتاب هي تلك التي لقيت حظّها من التوثيق والتسجيل، وهي عيّنة صغيرة جداً من مشاهد عظيمة كثيرة، احتوت مواقف عظيمة غير مسجّلة وغير محفوظة، أو لم يبقَ ثمة شهود يروون قصتها، وأن كل قصة تم توثيقها في الكتاب تصلح أن تكون مادة لأعمال توثيقية أو دراميّة، وتؤسّس لقصص خالدة تستحق أن تُروَى ويُفاض البحث فيها لوصولها غاية التجربة الإيمانيّة بتسليم الروح لبارئها في قناعة ورضا وإقبال.